شعر

جداريات

ماهر المنشاوى



٢٠٠٦

الرجال الذين تغنوا بالياسمين

والقمر أوصوني بحزنهم ،

« ريكارد مولينا »

على الأرض يزن الجسد

في السماء يصبح نوراً

لاتخفض عينيك ، أيها الفتى الشقي

إذا ما الظل وطأ جوفك

« بيار باولو بازوليني »

٢١ ش الشاعر البير / م حاتم محمد الادور

ع تجاني ٢

مصر الجديدة

٢٠٠٧/١٢/١١

لهويه الثقافه

مساكن شركه النصر للسماد

عمارة ٦ م ٢٦ شقة ٤

ت منزل ٠٦٢/٢٣٦٠٦٧٨

٠١٢/٧١٢٩٢٠٦

جداريـــات



اسم الكتــــاب : جداريات

اسـم المــؤلـف : ماهر المنشاوى

رقــم الإيــداع : ٢٢٣٥٨ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولى : 1 - 10 - 6196-977

تصميم الغلاف : كامل جرافيك

جمع إلكترونى : سوفت أيماج

الإشراف العام : محمد الحسينى

المراسـلات :

٢١ ش الصناديلى بالجيــزة

١٧ ش العطار بالجيــزة

ت : ٥٧١٢٦١٨

موبايل : ٠١٠٢٣١٣٥٧٩ - ٠١٠٢٣١٣٥٧٩ ٠١٢٤٦٢٠١٦٠

الموقع الإلكترونى :

www.dar-nevro.i8.com

البريد الإلكترونى :

dar_nevro@hotmail.com

جمهورية مصر العربية

الطبعة الأولى

٢٠٠٦

إذا كنت ممن يبحثون

عن دغدغة الحواس

فابتعد عن قراءة

هذا

ماهـر المنشاوى



(١)

على مقاعد البلاد صرةٌ من الرماد . . . ،،

تنزفُ الشوارعَ

أغادرُ القميصَ من لهيب صيفِها

فلا يضلُ ظُلها

ولاتغيب شمسُها

أنا الحرائق المطهرات أرضها

أقودُ كلَ غيمة .. عمامة

وأفتحُ النهارَ للحقيقةِ

(٢)

رأيت - في سفينةِ السلامِ ،،

قبلَ أن تباعَ في مزابل الثرى -

جرادةً تصيدُ موتَها

لنا حقوقُ ميتٌ

فمن يتم مأتمي بحكمةٍ ،

وليس لي سوى جرادةٍ وحيدةٍ

وعالمٍ من الذئابِ تحكمهْ ؟

(٢)

عذراءٌ أنت ..!!

من قال ذاك

نورٌ وشدوٌ

من قال ذاك

تأتى صفاءً ، تأتى ضياءً

من قال ذاك

أنتِ التي كنتِ انتهيتِ

(٤)

يقولون يا عاشق السهدِ ،

نمْ في اتجاهِ الشموسِ

وآت الزمانَ

فكلُ الليالي تناجى خليلاً

وأنت المدى ،

عاشقٌ مفردٌ في كتابِ الخلودِ

(٥)

ماتَ البحرُ عن عمرٍ ناهزَ الستينَ

كيف تحيا أصدافهُ ؟

لم يدعْ تركةً أو مالاً

لم يدعْ رفقةً أو جاهاً

لم يدعْ خاطراً أو بالاً

لم يدعْ إلا جثةً للوطنْ

(٦)

انتظر ..

بعد وقتٍ قليل .. ،،

سيأتي رغيفٌ وفنجانٌ .. ،،

فيه قهوةُ الروحِ .. ،،

لاترحمْ موتى

لم يستأذنوا موتَهُمْ

(٧)

هو الذي أنا .. أنا

وبين واحدٍ تركتهُ على خشونةِ القصائدِ

فعادَ واحدٌ يقولُ منْ ... أنا ؟

(٨)

ونصفى معي دائماً .. ،،

دائماً في ضلالٍ .. ،،

يهزُ الليالي

فأجنى نجوماً من الغافلينَ

وتبقى مفاتيح قلبي ضائعةْ

(٩)

قف صامتاً

نمْ هامداً

قبلْ يدى إبليس قبلَ العاصفةْ

(١٠)

هبطتْ

واستندتْ على جبل لتخلعَ ريحَها

فتشققتْ جثثاً مهرولةً إلى .. ،،

شفقٍ معلقٍ بالمسامير .. ،،

فذابتْ

(١١)

أدعوك في مستقبلي

كي تخلعَ الأحزانَ من أبوابها

واذبحْ وجوهاً غيري

- دون الضحى -

فاليومُ مثلُ الأمسِ مثلُ المقهى

مشروبُ شايٍ أسودَ

(١٢)

سوف لايطلع الفجرُ من مهدهِ

بعد تكحيلِ عينيهِ

ربما يخشى أن تزدادَ أعصابهُ صمتاً

(١٣)

لهثتُ وراء ظلي دهوراً .. ،،

ولمْ أتعدَّ موضعَ أنملةٍ ..

فلما تركتَهْ .. ،،

صارَ خلفي يجرُ وراءَه شهقاتٍ منغمةٍ .. ،،

تُرى .. !!

هو أحمقٌ ،

أما أنا سحبٌ مدنسةٌ ؟

(١٤)

قد أرى وجهَكَ

مرةً تلو المرةِ

لكنْ .. بين حلمى يموتُ الوجهُ ألفَ مرةٍ

(١٥)

واصلَ السيرَ فى لوحةِ الغيم

ربما تثقبُ الشمسَ

أو مع الفجرِ تمضى موتاً ولاترتدْ

نحن لانبكى كالضوءِ المذبوحِ

قد ننزُّ الدما أحياناً ولاننحني

(١٦)

لم يعدْ حتى يخرجْ

لم يخرجْ من جلدهِ

جلدُهُ مفتوحٌ للمارةِ

بعضُ الفيروسات تأتيهِ للزياراتِ

كان مسروراً دائماً لانشراحِ الطبيبِ.

(١٧)

فرعونُ ممتدٌّ بطولِ النهرِ

لم ينطفئْ

رغم انصهارِ الماءِ

والوقتُ مسعورٌ ببطنِ الحوتِ

فرعونُ ـ نمْ

كل البلادِ استيقظتْ مذعورةً

إلا ترابَ الذنبِ

(١٨)

قال في وصفي :ـ

طائرٌ يحتلُ الدهاليزَ

ثرثارٌ على ومضةِ الماءِ

عابرٌ في نهايات الخطِ

لكنْ لم يقلْ..

إنني غيمٌ ممطرٌ قديسينَ

(١٩)

مائلٌ هذا الكونُ

برج « بيزا » و « البحرُ الأحمرُ »

ضلعُك المعوجِ / نهرُ النيلِ / بنطال الحظِ

والحريةُ

(٢٠)

شتاءٌ وصيفٌ

ربيعٌ / خريفٌ

تُرى أيَّ فصلٍ يرتدى ثوب العدلِ

(٢١)

عندما يهذى لصٌّ في خرابيشِ الدفاترِ

تحتَجُّ السطورُ الأولى في آخرِ المقطعِ

(٢٢)

ربما تثرى الوعي في حنينِ الحكاياتِ

بعد ماضٍ منسيٍ

خذْ تاريخك

تشربُ الماءَ في كبرياءٍ ، فلاترتوي

(٢٤)

تجرى لاهثاً نحو أصفارٍ

رتبْ ما شاءَ القدرْ

أنت في المنتهى صفرٌ

(٢٥)

الحواديت قاموسٌ لاكتشافِ المفاتيحَ

إفتح همزاً ، إقرأ لمزاً

فالأميرُ الذي جاءنا

لم يكتبْ على وعدهِ الأخضرِ إسمَهُ

(٢٦)

هناك الذي لايكون ..

(برو مثيوس)

لتذهبْ ..

ومدَّ الشموسَ

وكنْ هادئاً ، كلُ شيءٍ يقينٍ

فلا تحترقْ . لِيْ أبٌ ، أمةٌ ليْ

تتوهُ

فعدْ مسرعاً ، لاتبالِ قوى الشمسِ ، أو لطمةَ الروحِ ..،

أو خدعةَ الليل أو .. ، أو .. ، أو ..،

فكلُ الذي فى السحابِ

كما فى الحليبِ ..

(٢٧)

متى يخجلُ الليلُ من نفسهِ ...،

عندما يخلعُ النومَ واعتادَ شربَ النبيذِ

ألا يهجرُ الظنَ والانعزالَ

ويستوقفُ الحلمَ فوقَ الرموشِ

ألا باعدَ الآه عن ظلهِ دون قصدٍ

ألا ظنَ أن البكاءاتِ نوعٌ من الإنحرافِ

ألا يلبس العشقَ ما يأمرَ العاشقونَ

إذن فليطرْ ..

فكلُ الليالي لنَ تنعاهُ

(٢٨)

وجوه على حائطِ الوقتِ ، سرٌّ لهذا الغريبِ

على مفرق اللحمِ والعظمِ ،

بعْ باطَن الأرض سراً

فمن يخدشُ الظلَ عند امتلاءِ البطونِ؟

(٢٩)

لتصعد فوق قارعة الطريق .. ،،

فمن سيولدْ من خطى أرقٍ ،

يراقُبنا ويمطُرنا بخاطرةٍ

تغازلُ رعشةً لوسائدِ الجسدِ ؟

(٣٠)

البر وازُ سجنٌ للفوضى

علقْ نفسكَ

فالمسمارُ أغلى من روحِكْ

(٣١)

منخلا يرتديه شباكٌ

يفتنُ الضوءَ أنْ يدخلَ الحجرةَ ،

خلسة دون وعيٍ

ليمتصَ من نهديهِ جوعاً يهواهُ

(٣٢)

أسقِطْ الوقتَ فى مطلعِ النرجسِ

راوِد الشارعَ

لون البحرَ

فالضمير المطايا ـ عاشِّق الصمتِ ـ

غائبٌ ..

(٣٣)

إنا أعطيناك سبعاً من أسفار وحفريات

فأقرأ ماءً يهذي

عندما تحتسي شاي العصر

حتى تجتاز الصدى

قبل أن تصدأ

حين صد الندى قرص الشمس

جئت صيرورة بالطباشير

(٣٤)

لوقت قصير

تضيقُ الصلاةُ

(وحالُ الكلامِ المهادن)

أشدُّ البلادَ

الى مطلعِ الشمسِ - فى ظلِ هذا الوصال -

فلا عادتْ الشمسُ لونَ البلادِ

ولاجفَ شعرُ البناتِ

ويبقى جنوني ملاذا

وحلو المذاقِ

أبَيْتُ الندى أن يضئَ الرياحَ

وقيدٌ على بابِ قلبي

وقلبي البلادُ

لوقت قصير ..

يضيق الحذاءُ

وحتى نموت

نسينا بأن القلوبَ استكانتْ

ونحن نيامٌ

نسينا بأن الشرايينَ ضاقتْ

فسالَ الصديدُ

وتلك الوجوهُ تخيطُ الدماءَ

ـ شموخُ البراءةْ ـ

همو النائحون .. !!

همو السابحون .. !!

همو السائحون .. !!

همو مهرةُ الحزنِ فى سترةٍ من ظلامٍ

وفى فجوة الصدرِ ناموا شُواظاً

بدتْ ريحُهمْ كلما هبَّ صوتُ الظباءِ

رموها بسهمٍ

ليستأنفوا بسمةَ الإعتراضِ

وفى سدرةِ النهرِ غيري .

أنا لم أمتْ ساعةَ العرضِ فى ساحةِ العتمةِ

فقطْ ـ متُّ عند المحاقِ

فلا فتية آمنوا بالسؤالِ

ـ وهم ينبشونَ السرابَ ـ

ولا أطعموا جلدهمْ بالغبارِ

مشينا ...وقبل الصعودِ

هوينا

فأخْرجْ رمادا

- بقايا ثريدٍ -

وبعْهُ بسوقِ النبوةْ

وسوقِ النخاسةْ

بدا يربطون المدى بالمحيطِ

فلا يعبرونَ المجازَ

قناعي يقينٌ

تشكّلْتُ منه صلاةً

لأجلى

وأجل البلادِ

(٣٥)

شفرة بيننا ..

إعتراض مقبول

تعطيني ماءً ـ أبنى ـ / تهد

تعطيني هواء فى هذا القاع

/ أغرق

أبصر الشمس فى جوفي

تسلب الروح

كُلكُ الكلِ

كُلى الجزءِ

أنت فى الكونِ

واحدٌ منى .

(٣٦)

لاتدنو منى كثيراً فى هذا الكونِ

دعْ مساحاتٍ بيننا

كي أرى ما لاينتهي

فالفضاءُ الفضفاضُ أنثى من الريحِ

واقتَرِبْ حين ترنو رفات ابتساماتى

فى أشلائها

كلُّ المعبوداتِ جرداءٌ

إلا من أوراقِ الزيفِ

(٣٧)

ليس شكلي كأسمى على طولِ الخط

دائماً فى صراعٍ . . ،،

لا أدرىً أيَّ منسوب ٍ لي

الذي كان شكلي فى يوم ٍما . . ،،

أم ذاك الأسمُ في ليلهِ الحافلِ

عندما ذاب في رغْوةِ الصدقِ !!

(٣٨)

نداءٌ .. !!

إلى كل من يعبر الجسرَ .. ،،

هل تشترى ما يسومُ العذاب ؟

ـ متاعٌ قليلٌ ـ

سيقضى على حزنهِ قبلَ قطفِ الهتافِ

ويرتّدُ ورداً وظلاً

ليدعو يقيناً

يصلى على إسمهِ فى نهارٍ

بلا أيِّ شمسٍ

ولا أيِّ صوتٍ يضئ ،

هو النصفُ فى ثوبهِ ، يختفي ما أرادَ

وما رتلَ الأرض وحياً مصُفَّىَ

كساها متى شاءَ قيظاً

ويخُفى الظنونَ

ألا يدخلُ البابَ من فتحةِ الريحِ .. ،،

إذ باتَ فى سجنهِ مارقاً .. ،،

يستجيرُ الربائبَ !!

أم الموت ذاكَ الكمال

يسوقُ العراءَ ،

ولونَ البحارِ ،

وشيطانةً من حروفٍ قتيلةٍ

لكَ البيتُ حزنٌ

وللريحِ سيفٌ ،

وأسطورةٌ لاتغنى

فهل تَنَقِلُ الموتَ من كفهِ دونَ أدنى عتابٍ ؟

(٣٩)

يمتطى هذا الفارسُ

ـ يمتطى أولَ الخيطِ

ـ يصعَدُ الشمسَ فى خطوةٍ

لايبالى شعاعاً ـ يعدو فى خفةٍ ،

ـ خلفهُ ـ

أو ظلا مشطوراً

يبتغى صحبتهْ

عله يلمحُ الدربَ فى أخرِ الغيبِ

ثم يرتدُّ منْ وعى الحلمِ أنشودةً

ـ وقرتْ نفسها ـ

رغم ما فى عينيه من نجومٍ مقهورةٍ

رغم ما فى يديه من ريشةٍ

فوقَ هامات الدهرِ ، لا يبدأ الفوضَى

إلا أنهُ عادَ أوتاراً فى مشكاةِ الفجرِ

زاملتْ رقصة النجمِ الأوحدِ ،

فى حضورِ القمرْ

خذني يا ماءً يضيءُ الدجى

خذني حتى يشرئبَ الوطنْ

هل أمضى بلا ومضةٍ فى هذا التكوينِ

أىُّ ينبوعٍ أدُلى فيهِ لهثتى

حتى أحملُ النارَ والمعرفةْ !!

حتى أنمو شحاذاً لهذا الدمِ الفائحِ

كلُّ حقلٍ شجَّرتَهُ طيراً

صار لي دوحاً فى قلبي المثقوبِ

كلَّ ما طالَ فيكَ الزمنْ

طلَّ منكَ الوجُه آياتٍ

علهم يعرفون المدى

أو يَرَوْنَ الصدى

كلهم سافروا فيكَ

ينبشون الغيماتِ

ربما عادوا من خلفِ الخيالاتِ أروحاً

ربما ..

ربما أمطروا أصواتاً بلا موعدٍ

(٤٠)

بعد الحلم تأتى وجوهٌ شفافةٌ

ربما لاشتعالِ العشبِ المضيءْ

وانكسارِ الأشجارِ

وانتفاخِ الأضواءِ

والحريةِ

هكذا ..

في وقتٍ مسبوقٍ

« **يونـــس** » ..

والحوتُ الذى ضمَّ حبَ الرمانِ

إفتح باباً

هكذا ..

عاشقُ العشقِ والوعدِ والمدِ

والكهوفِ الضبابيةِ

علٌّ العرشَ محتلٌّ

أو مغروسٌ فيهِ

أمْسِكْ

« نـــوحٌ » ..

يمتطى زوجاً من جودٍ وجودي دقَ فيهِ تنجيمةُ

يقرأُ ..

عصيان الطوفانِ والفُلْكِ

واغترابِ الشفقْ

خذْ من نهدِ الأرضِ حباتِ الخلوةِ

وارتحلْ ..

من حصاد الأجسادِ

هكذا ..

« **يوســـف** » ..

أيها الصديقُ الموشومُ بالفضةِ

مملوءٌ هذا الجُبِ

سْبعَ حوريات قطَّعْنَ النيلَ .. ،،

أهدينَك الفجرَ سجناً ونوارةً

وامرأةْ

قُدَّ ما طلَّ من ضوءٍ بين قمصانِكَ

فاستلْ الخطى

واصطبرْ ..

واختبئ فى صُواع الملكْ

هكذا ..

جالسٌ يمزجُ الماءَ بالملحِ

يعجنُ الشيبَ بالصبرِ

ـ لذةُ الجمرِ فى أبريقِ البيداءِ ـ

يا « أيــــوبُ » ..

نمْ على صبرِك

والتحفْ رحمةً

حين تنأى بعيداً أقصى بلادِ الظلْ

والسجَّانُ أشتدتْ شهوتهُ

أينما كنتَ رتقتَ نعليكَ شوكاً مسنوناً

كلما سالتِ الروحُ فى أسفار الترحالِ

عدت صبراً جديداً ونزفاً لليتمِ .

(٤١)

كانَ وجهاً لليلِ وابنَ الإعصارِ

يطلب الثأرَ من سيدِ الحرفِ

كادَ أنْ ينفثَ الريحَ ناراً في حضرةِ الذاكرةْ

لكنْ ..

في حمي لونِ الوردِ

يلقي بعضَ أوجاعهِ

ترتيلاً بينَ الحكاياتِ

كان وجهاً لليلِ وابنَ الإعصارِ

يعدو كلما هاجَ البحرُ

ـ رغم عشق الأصدافِ ـ

يطفو فجراً إنهزامياً

ينحني للظلام المضئْ

لكن لاينسى الأوهامَ

كان وجهاً لليلِ وابنَ الإعصارِ

ألفَ وعدٍ هنا

وانكسارُ الأجرامِ في لجهِ

ماذا ..؟

والذي قد نما

قد فنى

مادنا ..

من مدى جرجروهُ هنا

بؤرةً في عينيهِ

كان وجهاً لليلِ وابنَ الإعصارِ

ماله لايَهِمُّ الصدى

واندحي فوقَ سن التوابيتِ

ما التوى

اجلُّ الموتَ دهراً حتى يحطَّ الأحزانَ .. ،،

في لوحِة البردي

ربما كان تاريخاً مسروقاً

(٤٢)

سأهجرُ العواصفَ

وبعضَ زرقةِ الجليدِ طالما

مسافةُ العيونِ كالجنونِ بين ألفِ مُدْخلٍ .. ،،

لألفِ مضجعٍ .

لنا الخيارُ بين زهرةِ الدمِ

وبين معطفٍ ومعصمٍ

وبين ألفِ طائرٍ معلقٍ علي مدينةٍ جريحةٍ .

ساتركُ الجياعَ في منامهمْ

وبينما الرياحُ ، أكثرُ الجنونِ همةً ،

نريدُ ساحةً من الحريق لاغتيالِ ضحكةٍ

ونوبةٍ من العواصفِ

وكوكبٍ يدين باللجامِ والعصا .. ،،

أمامَ فوهةِ الجماجمِ

أنا ومنْ .. !!

ومن أنا .. ؟!

بنادقٌ وخوذةٌ من الضياعِ .!! والضَياعِ ، رحلةٌ

إلي بكارةِ النزيفِ ، رَشفةُ البراعمِ

ألفٌ طعنةَ الصدى

بزورقين مِن وسادةِ التواصُلِ

فلا يغادرُ الغمامُ ماءهَ

ولايعودُ من سديمِه يصبُ في دفاترِ الضحى شُجونَهُ

نوشوشُ الأديمَ ، ربما عقاربُ المدائنِ استشارتْ المدى

فننهكُ الطقوسَ كلما أباحتْ الضلوع قاعةً

نعيش في بلادها بلا دمٍ

وبلا سفينةٍ تجوبُ إصْبَعاً مُحَطَماً

وبعدها ..

وحين راقصَ النهارُ وجهنا وظلنا

نُعاودُ الرحيلَ مرةً وأرْثنا على جداولٍ

تسير في شرانق الخطيِ .. سدى

ويستقرُ نهرنا ، فلم نمتْ

ألا نظل جوفَ نقطةِ المدادِ .. ،،

نرسمُ الطبولَ أذرعا

ـ تكفكفُ النجومَ فى نحيبها ..

بحاجةِ من الغباءِ نستظل تحتهُ

ونقبضُ الصقيعَ .. تائهاً

كأننا شراسةُ النهودِ لا نملُّ في حصادِها

لكلِ ليلةٍ وكلِ خائنٍ

(٤٣)

(أعطني الناي)

لاتُغَنِ المطرْ

وانشدِ الماءَ من نبضِ الطمي

هذى بهجةُ العرس ، لم نختار انتظارا فلا . . ،،

امتحنا نهراً على وجه « عشْتار»

والعراقُ / المراياتُ

جردوا ثوبَها إلا عورةَ النِفْطِ

قالوا . . قد علمتنا ألا ننخدعْ

كلما اهتزتْ أوتارُ المزاميرَ

وأن نطرحَ الوقتَ فى جوفِ الأرصفةْ

فاكتبْ سطراً واحداً

ـ طفلاً / موتاً ـ

أنت يا خِلَنا ظلٌ مشدودٌ وراءَ القضبانِ

(٤٤)

تحرك القطارُ فى عجالةٍ

وهم يراقبونَ مشْعلَ العيونِ بالبريقِ منذ جاءَ وحدَهُ

يضمُ ذكرياته على رصيفِ موعد اللقاءِ والنهايةْ

فلم يكنْ من الذين يبتغونَ موقدَ الفصولِ في منامهْم

ولا مع اللذين ينكرونَهُ

تُخيمُ النجومُ في مصيرهِ

هو الحنينُ والسنونُ والرهانُ .. ،،

ساعةٌ وينزلُ الضبابُ خلفَ ظهرِه

عليه أن يحاربَ الندم فينهزمْ

وأن يموتَ فى حقيبةِ البلادِأعرجاً

ويستجيبُ لحظةَ المرورِ فى عقارب الرحيل واهماً

فلم يجدْ سوى امتدادِ ساحة الشتاءِ فوقَ كبرياءِ جرحِهِ

(٤٥)

مرغماً ينزفُ الظلَّ من انفهِ

ربما ينحني في نصفِ الجسدْ

أويغفو على باحةِ الشمسِ

أو ذبولِ القمرْ

يكفيه إطلالُ الطينِ كي يحفظَ السرَ في تابوتِ الصبرِ

ربما قوسٌ من أوتار الريحِ يُشجيهِ

استدانَ القديسَ في إذلالِ المساءاتِ

فالليلُ المثقوبُ

-في سماءٍ تدلتْ على حُلمهِ-

عاهرٌ

(٤٦)

نقطةً تبدأ ...

كلما ضعنا بين خطٍ وهميٍ

نلعنُ الحظَ

والذي ماتَ خلدناهُ كتاباً قديماً

ثبتْ روحكَ الآنَ قبلَ انكسارِ الضحى

قبلَ أن تُنسى

لاتخش انتهاكاً لها

سجلْ تاريخَ اليتامى فى نجمٍ حيٍ

فالروحُ الت حاصرتنا يوماً لابدَّ أنْ ترعى خَوْفَها

لاتهابَ الزمنْ

هل ترى فجراً يحرقُ الوردَ فى سلةِ الزهرِ ؟!

أو ناياً يأبى صداهُ ؟

هل مات التاريخُ من لسعةِ النحلِ ؟!

أم يكفيكَ سجادةُ الشمسِ كي تمسحَ الوقتَ من عمركِ

خذْ غصونَ الأحلامِ منطاداً

تعلو عالياً عند باب الفراغاتِ

لكنْ .. إعلمْ

نقطةً تنتهي ...

(٤٧)

آهٍ .. إنهُ الوقتُ

ضاعَ ما ضاعَ منهُ على عُش السهدِ

انبرى الظلُ فى لغزهِا

كلما نامَ الوقتُ فى لحن ترنيمىٍ

صاغَ الضوءَ سهماً

وبالروحِ صوفياً ساجداً

مسرجاً بالمشكاةِ

مغزولاً فى عينيها

قالوا : رغبة فى الحنايا ـ مجنونة ـ

هزها الصمتُ

وانحسارُ الفراشاتِ

والأيادى تشد الأصواتَ من نبضها الدافئِ

فى براح الرؤى

أهتفُ .. !!

أهتفُ .. !!

حان الوقتُ أن تخبريني إلى أي نهرٍ أسعى إليه ..

كي أغرقَ

(٤٨)

كلٌ يأتي رغمَ العصيانِ

منَا من يأتي من رشقةِ السكين ..

أو من غابةِ السأمِ

أو من حلم الأبتهاجاتِ

أو منْ .. !!

أو منْ .. !!

يكفينا زحامُ الأشياءِ

فارحلوا .. إن الأرض تأباكم موْضعاً

والأرحامُ / أوهامٌ

والأشرارُ / أخيارٌ

والنسيانُ / إنسانٌ

فى فوضى المقاهي والأرصفةِ

أوصدوا بابَ الكونِ قبل الطوفانِ

(٤٩)

قد نعيدُ التمثالَ فى أبهي صورةٍ

بعد أنْ نغسلَ الهمَ عن وجههِ

ماذا يجدي لو تركناهُ واحداً للضياعِ ؟!

(٥٠)

إسمعي ..

قد بحتُ الأقاويلَ عن سرِّنا ـ هذا الليلُ

ربما ضقْتُ من جفنكِ الأخضر

والهلالُ الذي يمشي مختالاً على خدكِ

فاعلمي بعضي

وارجمي شِعري

يأتيني سؤالٌ ـ شبيهٌ بي ـ

هل نساءُ المساءاتِ في بهجةِ الضوءِ .. ،،

يرقصنَّ ـ في صمتٍ ـ رقصةَ البحر إذ .. ،،

هاجَ من لوعةِ المنفى ؟

والمنفى أنا

أعدو تحتَ السحابِ الذي في زِيِ الأسفلتِ . . ،،

أخبو و أحبو على غربةٍ

ها هي الآن تأتي خُفا بين ضلعيكِ

بينما ادهنُ الماءَ بالزيتِ كي يلمعَ

ربما عجَّلتُ استمطارَ البدرِ

كلما سافرَ النومُ من عيني ،

اخطو مهتزاً بما يشبهُ الرقصُ بين الغماماتِ والحقلِ

ليس لي إلا طعمَ العشبِ في حضنِ الراهبِ

مأخوذاً بوهمِ العذارى وقربانِ المعشوقينِ

فاسقنِ طعمَ الفوضى وأوتارَ الحرفِ

هذا البيتُ مزهو بسيقان الشمسِ

لم ينزعْ كفَّ التصفيقِ

مهما تأكلُ النارُ من حلمِه

سوف ينجو في استبدالِ القمرْ

في استبدال الزيفِ من أحداقِ الشجرْ . .

عندما أطلقُ المدَّ في ساحةِ الخلدِ بحثاً . . ،،

عن فجرٍ في دلالِ الصدى ،

انزعُ النجمَ من عينيكِ

قد أكونُ المدى . .

فيضاً من ضياءٍ إلى دهرٍ ، نامَ نشواناً

في أنواءِ السهدِ

أطوي عصمةَ الحَجرْ

أو أكونُ الندى

أمسحُ الليلَ من أوراقِ الماضي . . ،،

ومن آتونِ المقاهي .. ،،

وأنفاسِ الصبحِ ،

هكذا ..

كنا وشماً مشغولاً بذكرِ الرواياتِ

نتلوها على صدر الأشياءِ التي بيننا

والتي تختفي دائما في قلبٍ بلا جمرٍ

هكذا ..

كنا في عيونِ العصافير .. ،،

ابواباً للدبابيرِ .. ،،

سماً ممتصاً على صفحةِ الفنجانِ

فيه نسقيا الشارعَ

لاموتَ بلا موتٍ

خلفَ الموتِ روحي .. ،،

والبنتُ تحكى طقوسَ الطوفانِ

فادخلى فى دمى

واسكنيني رملاً وشطآنا

فالغريبُ الذي بيننا

قصةٌ لم تبدأْ بعد ،،

(٥١)

أنا الذي رأيتُ أخرياتهم

يهللونَ أيها .. !!

بلا وسادةٍ وسادةٌ يجرجرونَ بعضَ صمتهمْ

وهْبتُ راهبَ البلاطِ حيرةَ الجدارِ كي يواصلَ الحكايةِ

فواصلَ المسيرَ فى عباءةِ النهارِ من خلالِ ربوةِ الخطى

تساقطَ الذهولُ فوقَ خاطئاتِ سِرَهم

وشكّلوا حدودَ بأسهمْ بلا شواهدٍ

ستكبرُ البحارُ مرةً ومرةً .. ،،

الى مشارفِ الحدودِ ذات ليلةٍ

وتغرقُ النهايةَ

ويكبرُ الضحى ويحترقْ

سواء عبأوا الشتاءَ بالهجير .. ،،

أم على الهجير برهنوا همو

لأنني قرأتهم حناجرَ المواجع

وحين يصعدونَ من دمى أكونُ واحداً

ببقعةِ الوجود ..،،

شارحاً خيانةَ الظلام والملامحِ

هي الحروبُ -عادةُ الرحيل وقتما تهيأتْ .. ،،

تموجتْ

أنا الذي عَبَدْتُها

اذا نظرتُ عادةَ الضياءِ ما ..

محوتُ سدرةَ الغمامِ من أواخرِ المذابحِ

هي التي تقدِّرُ الطريقَ من طلوعِ شمسِها .. ،،

إلى مغيبها

فضاؤها ..

همو المقامرون بالبلادِ / بالقيامةِ

فما رأوا حقولَها تفرُّ من حشائش العناقِ .. ،،

والبرابرةْ

وكومةٌ من الظلال تعبرُ المدائنَ

فكنْ مع المهللينَ .. ،،

تحملون بندقيةَ النهودِ فى الردى

وكنْ غنيمةً لكلِ رحلةٍ

أنا وقاعُها سوى حقيقةٍ

فبعدَ كلِ فارسٍ يجئُ فارسٌ .. ،،

يصادقُ الشوارعَ

وكلُّ قطرةٍ تطيرُ بالرياح تدهسُ النواصيَ

وتكبرُ البراءُة

بحاجةٍ إلى نعومةِ الوطنْ

أريدُ حصتي من الحجارةِ

وقبلَ أن نجيبَ موعداً .. ،،

-على موائد الظهيرة-

نحاكمُ الذي أتى بثورةِ المحارقِ

وتلكُ رغبةُ الطيورِ للفراغِ .. ،،

والنهارُ قادمٌ

تلك حدود الأغنية

وجهُها واهجٌ

فى مساحاتٍ بين رمشِ الآفاقِ والأعماقِ الخمريةِ

لكنْ ..

قلبي عاطلٌ

منذُ باتَتْ وحدَها

فى فضاءاتٍ للقناديل

احتجتُ الليالي لأبواقي الخائفهْ

واقتربْتُ الخُطى ..

ربما أعرفُ السرَ فى ظِلها الساجد

أو أحظىَ بشيءٍ من أنفاسِ الضحى

بعدها ..

لا أهتم بالموتِ

هكذا كانتْ ..

منذ احتلتْ الفجرَ

ساهراً في مرساها

أحصى أيقوناتِها

خلف هذى المساءاتِ

والسمواتِ الاعلى

قد تكونُ الأيامُ مهراً لها

قد اكونُ الأطيافَ في سرِها

لكنْ ..

ماذا بعد أن روادتني عن سحرِها ؟!!

كنت أمضى إليها كطفلٍ وليدٍ .. ،،

يحبو ببطءٍ على بواباتها

ربما أعزفُ النبضَ تحتَ الفراشاتِ

فلما شاهدتني طارتْ من الوقتِ .. ،،

فى خفةٍ رائعةٍ

نحو الدربِ ـ عند الألواحِ .. ،،

لم ادلفْ صدفةً

بل قصدتُ الإبطاءَ حتى أنمو نخلاً معروفاً

أعلو مرةً

مرةً ،

وسط تيه الرؤى ،

تدنو الشمسُ منى كثيراً ، كثيراً .. ،،

حتى أصبحتُ فقاعاتٍ فى عينيها .. ،،

تُبكيها كيفما شاءتْ

أينما شاءتْ

فالعشق الذي يغفو في ثيابِ القمرْ

لاح من وجنتيها أضواءً للسهرْ

يسقيني صفاءَ الأنغامِ

إن القلبَ يحنو على نبضٍ ساخنٍ

يحرقُ الظلمةَ

من سعيرِ الوجعْ

خلف هذا المدى ،

فوقَ الَربوةِ

بين أحلامٍ شائكةْ

دائما .. أنتظرْ

أنـ . . .

تـ . . .

ظر . . . .

ربما أدركتني تلك المناجاةُ الباليةْ

لكنْ . .

اختارتْ من كفيها

بائعا للبنْ .

نشـــيد

نظرتُ من ثقوبِ بابها

وجدتني هناك صورةً قديمةً على جدارِها

ظننتُ أنها تشابهُ الفخاخَ فى اقتناصِها ،

لكل عابرٍ . .

ترجَّلَ المسافرُ . .

تركتُهُ رهينةً لهجرةِ الطيورِ من بلادِها

وللفراشِ أن يعودَ من حقوله

بقبضةِ الرياحِ واهبا حياتَهُ

لمنْ يبيعَ عطلةَ الضياءِ للشتاءْ .

لنغلقَ الحديثَ عن شرانقِ اللهيبِ والضجيجِ خلفنا

نقصُّ نورَها على روايةٍ

فبين خائنٍ بحائط الديارِ ، خائنٌ

يعبئُ العيونَ بالهوى

وبهجةَ الخطى

فنحن لابديلَ عنْ مسارِها

فلم نكن بآخرِ المطافِ مضغةً

ولم نكنْ سوى ندى

أنا هي التي أنا

وإن يطيبَ لي خيامها هوى

وتسدلُ الستارَ فوقَ شمعةٍ -

تفَّرُ دمعةً - تبيعُ مهرَها

لعلَّ فارساً بصفحةِ العزاءِ قادمٌ

وإن يدسَّ رأسَها

تنامُ فوقَ ركعتين فى العراءِ قبلَ موتها

لتستريحَ من عنائها

تحطني نهايةَ الطريقِ بعد رحلةٍ طويلةٍ

أصارعُ الهواءَ والسقوطَ فى حروب عمرِها

بَلَغتُ شطَها وفى يدي غيمة

وفرحةٌ صغيرةٌ

أعلقُ الظلالَ قِبلةً

وحين حاصروا مشاعري

خرجتُ عاشقاً

على جدائلِ الصفاءِ والشقاءِ باسماً

تضمني الجفونُ ضمةَ الكرى

قضيتُ طيلةَ النهارِ فى بناءِ بحرِها

وحين باحنى وواصلَ المَسيَر فى الدروب قاتلاً

فَرشتُ رقعةَ السلامِ فى لقائهِ

فربما تدحرجُ الكلامُ من شفاهِها ،

على مقاعد النجوم والكواكبِ

وربما أطحنُ المساءَ .. ،،

رغَم أنَّ واحتي تجمدتْ / سفينةً

تُساقطُ الصباحَ قبلَ أن يواطئَ السحابَ ـ غفلةً

فلا يغيضُ ماؤها

ويَعْصِمُ الثرى .

قَدِمْتُ منذ أنْ توضَّأتَ ،

بماءِ جبهة الإمامِ .. ،،

قمتُ مارجاً أشفُ فجْرَها

اخطُّ صدرَها على مشارفِ المدينةِ

وأرسمُ الملامحَ

وقبلَ أن تشِبَّ طفلةً

وَهَبْتُها المراودَ

تكحلُ الجراحَ نبضَها

وتحتَ قطرةِ السنينِ تاهَتْ العيونُ فى قميصِها

فرُعها ..

باسقٌ موعداً

يعلو .. يسمو

يزرعُ اليأسَ فى قلبهِ

فى زنزانة الليلِ

ها هي ..

تُبرؤُ نارَهُ

قبلَ أن يلمسَ الشاطئَ

كانَ البحرُ مشغولاً فى إعدادها ،

ـ شعرا حيا يغفو فيه ـ

ـ نصفُ الليلِ تقريباً ـ

إنحنى البرُ ..

والشراعُ الممتدُ من ضحكةِ الموجِ .. ،،

مسكونٌ فى أهدابها

كلُ شيءٍ معدٌ لها

ثلةٌ تصنعُ اللحنَ

والحصى فوقَ النورِ يرمى أغانيهِ.

العروسُ التي خبأتْ نفَسها ،

فى ثيابِ الأحزانِ

صبت كأسها منبتاً للألمْ

أقبلتْ ..

ترتدي طاعةَ الجانِ

دونَ وعيٍ نامتْ على زندهِ

هكذا ..

اهتزتُ أحلامُ البحرِ العاشقِ

صارَ بين أصدافِ الأسى

ظلاً نائماً

يتلوها بردية أحياناً .. ،،

وأحياناً يتلوها قداساً

هذا الكائنُ الحالمُ

يصحو من عينيها بكرةً

كلما فاضَ الأمسُ في روحِه

لم يزلْ يسألُ الصمتَ

هل سينجو من صدرِ أيامها ؟!

حين تهفو الى منبعِ المُهلِ .. ،،

يزدادُ الداءُ في خلجان الزبدْ

والبحرُ الورِعْ

يدفع النارَ عن وجههِ المعتصمْ

يدنوها زاداً ولوناً محصوراً

بين بدءِ الأحلامِ والريحِ

لكنْ ..

رجْعُ أصداءٍ ، تأتى من أعماقِه

أرهقتْ عزفَهُ

فالمليكُ السفلىُّ اختارَها لوحةً

للبداياتِ والمنتهيِ

ما رأى البحرُ غيثاً فى عينيهِ كما فى مجراهِ

عبأ الذكرى فى أحشائهِ

واكتفى

لوعةُ الموتِ

غواص فى بحيرة عينيك

ارتدينى يا غرسَ الأنهارِ

يا معشوقةَ البحرِ والأطيافِ

كلما خضَّب الحرفُ دلتا عينيكِ

تأتيني الأقدارُ ،

شرخاً للصدى

ما أصابَ الضحى ؟

حينما صبَّ الفجرَ فى كأسهِ

واحتسى منه لونَ عينيكِ

يا لونَ الضياءِ

ملكيني أحلامي

ربما لملمتُ الأربابَ من فيكِ

أو من وجهٍ بدرى يصيدُ الليالي فى بؤرةِ الأحداقِ

ماذا لو أدخلتينى ظلاً برئياً فى شرفةِ النبضِ ؟

أحتفي .. !!

ثم أغفو على هالةِ النورِ من سركِ الداني

أخّرجُ السهدَ للأرواحِ

هل نسيتِ اللقاءَ ؟

تلك الليلةُ .. كانَ يعدو نسيمُ الشتاءِ الحاني على بواباتِ

كفيكِ

تهمسينَ الخيالاتِ أوراقاً للعمرِ

عندما استقلتْ أمواجُ البحرِ والزهرُ فى قلبى

أطلقتُ الأناتِ ، والسحرَ بالجرحِ ، والجرح تسبيحة

وارتعاش لموال العشقِ

لم تزلْ أقدامى مشدودةً بالضياءِ

لم أزلْ أكشفُ الثوبَ عن بدرٍ

هاربٍ فى سربِ الغزالِ

كنت أصحو ، أرتابُ فى الشمسِ

لم أعلمْ أن الأفلاكَ فى غربةٍ

كلما أغلقْتُ الأهدابَ

لم أعلمْ أن الغاباتِ ناياتٍ

إلا بعدَ تغريدةِ الإبتساماتِ

هكذا كنَّا ...

برزخاً واحداً

نغلقُ الشكَ بالمزلاجِ

تفتحُ الوردَ عصفوراً يقتاتُ الوشاياتِ

ما الذي رد الطقس من شفرةِ الليلِ

أو شقَّ الأخاديدَ في قطرةِ الغيمِ

هل تظنين أن أحيا مستقلاً عن أسرابِ الحمامِ ؟

سوف ارتَّدُ من رقدةِ النخلِ .. ،،

أحوى سؤالاً مكنونهُ الوجدُ ـ

يجرى فى أنشودةِ العارفينَ

فردٌ واحدٌ

كان بوحاً يوارى مماتاً فى ظلِ البائسينَ

ماذا لو تمادينا جسراً من شطٍ إلى شطٍ

حتى يعبروا ـ فوقنا ـ وعداً زائفاً

مهما دسّوا من أوجاعٍ فى الوديانِ ،

فى غبارِ الحكاياتِ ،

فى مروجِ الأوتارِ ،

فى أفواهِ الأغصانِ ،

سوف أبقى على عهدي

رافضاً الإستقلال

هل أنا متعبٌ

حين يدعوني بدءُ الطوفانِ ؟

أم أنا موجودٌ بظلِ التماسيحِ بالوادي

رغم أني من يتلو آيات الأصفادِ في عامنا هذا

إلا أني بقايا ضمير بجسرِ الموتى

يواليني أينما كنتُ - ظلٌ يوالى ظلاً - لنحيا حياة التعميد

نغسلُ الزيفَ من وجهِ أخطائنا

نعلو احياناً إلى أطرافِ الشمسِ

ثم نرتدُ حظاً في بئرِ العثرةِ

والصغيرُ الذي سوفَ يأتينا من شواشينا

قادمٌ كالصدى

يمشي شاهداً أولَ الفجرِ

تحت سقفِ العلاماتِ يخطو زمانين

(١)

وجهةُ البحرِ ، يجرى مختالاً فى سموقِ النخلِ

عندما أدْمنتهُ الحصى

ارتدتْ أحشاؤه ضفة لاحتضار الليالى

عاد وقتاً صغيراً يحبو صوفياً

يطوى « سورة النور » فى جيبهِ

دون أنشودةِ العارفينِ كي يستقرأ الطالعَ

(٢)

دمْدَمَ الأرضَ

لادليلَ على أنه خالدٌ

لولا أنفاسٌ تعلو على وشمِ المساءاتِ

ما دامَ الترحالُ

فالقنديلُ مشنوقٌ بالفراغاتِ ، يلقى اسرارَهُ

فى نهودِ الصبايا ، فهلْ أدْركَ السدرةَ ؟

أينما كانَ .. كانت أعضاؤهُ

أشواكاً على الممشى

تزرأ الريحَ فى هودجِ الرهبانِ

تعطى نكهةَ العشبِ فى ثغرهمْ

هذى الأشياءُ التي تلقى دائماً بين الخوفِ والنسيانِ

تجثو عندَ منْ لملَمَ الجرحَ

أو سرايا جنود يسوقونَ النوقَ فى عصرِ الانفلاتِ

مروا من شظايا التاريخ أبواقاً للكيرِ

والمواكيرُ أعضاْء من دم حيٍ

ما حررنا الظلَ من صخرةِ القيدِ أو قشرةِ السهوِ

كنا رملاً نعلو فى مهبِ الأعاصيرَ

ثم نهوى ماءً مهيناً على أشلاءِ الجرانيتَ

نخفى أختامَ الأميرِ الذي فينا

الذي يترك الخيلَ ترعى على طيرٍ

مستكينٍ في ظلمةِ الغيمِ

نحن هيكلٌ من شقوق الثرى ،

بين كفِ الخلاخيلِ فى عامنا هذا

هل لي وقت لتفسير الفنجانِ .. ؟!

فضاءٌ فى دائرةِ المراهنة

الهاربونَ استطعموا ويلاتِ « افلاطونُ » فى أحْداقِهِمْ

والمرجفونَ المتعبونْ

طوبى لهمَ

فالريحُ خلفي - بعضُ أوجاعي - . . ،،

تجرُ الروحَ فى أسفارِهْم

تشدو الرؤى

- عصفُ اغتيالِ اللُجْةِ -

هذا فضاءٌ ساكنٌ

ردوا أغانيكمْ من وراءَ الحلقِ

ما كنا بقرصِ الشمسِ صرحاً باكياً

كلُ الخلايا ضلتِ النایاتِ قصداً ما استوتْ

فى ظلِ هذا الكونِ أو أركانِهِ

فالأرضُ بين الشكِ لمْ .. ،،

تعرفْ يقيناً واحداً

تَرْتَدُّ ضوءاً ، غَرْبَلَ الأيامَ .. ،،

فى كوبٍ من الصلصال منسياً .. ،،

سوى وقتٍ يَؤمُ الكونَ أضغاثاً .. ،،

وأنتمْ فى محيطِ الشمس تختارون عنواناً لكمْ

ما زال « افلاطونُ » فوق الظلِ يرخى طيفَةُ

يمتصُ أفكاراً مشَتْ

صارتْ مع الجدرانِ نوراً واهجاً

لم يَسْتَبحْ أرواحكمْ

بلْ جادلَ الكهانَ فى كهفٍ ودوحٍ من رخامِ النار .. ،،

لو مدَّ الليالى برهةً

لاستيقظَ المقتولُ حياً ثانياً

من يُخرجُ الأحياءَ من أسطورةِ التكوينِ . . ،،

أويبكى على نارٍ تبيعُ الدفءَ فى حتميةِ التنهيدة ؟ !

فى خاطري صبحٌ يدوسُ القشَ فى صمتٍ . . ،،

يوارى فى وعاءِ الزيفِ أشلاءَ المدى

فاستنفروا اللاءاتِ من أوجاعِها

وابقوا كما أنتمْ هواءً فاسداً

* * *

مسعورةٌ تلكَ البروجِ الواهيةِ

أكذوبةٌ موجودةٌ فى وهْمِنا

أو لاكتمالِ الصورة

أو معبرٍ بين الذي

أو بينْ كُنْ أو لا تَكَنْ

من أينَ للأشجارِ أوراقٌ ولمْ

تجمع بكاءَ الطفلِ فى أحضانِها

من أينَ للأمواتِ عشقٌ فى زمانٍ لم يكنْ

وشماً على عينينِ غارتْ فيهما

أنشودةٌ ورديةٌ حين استوتْ فوقَ الثرى ؟!

فالظلُ - تلو الضوء - أيقونةٌ

مفتونةٌ بالركبِ لاغربيةً

فاستكملوا أصدافَها

كي تبزغ الشطآنُ من ثقبِ الورى

كلٌ وجودٌ خادعٌ

الشمسُ ـ ضوء خادع . . ،،

البحرُ ـ إسمٌ خادعٌ ـ

يبدو غريقاً ، حولهُ الحيتانُ ، لاتلقوا له

قيثارةً ، لن يعزفَ الألحانَ ، همْ راحوا عظاماً . . ،،

فى سطورٍ هاربهْ

بلْ كلُ شيءٍ قدْ مشى

الطيرُ يمشى مفرداً

قد لايجيدُ الصيدَ فى أحلامِه

فأقرأْ كتاباً فى فتيلِ السرِ للأشباهِ ، وارحلْ خائناً

لاتنجزعْ ، لا تنخدعْ

فينا طريقٌ ضائعٌ . أو هالكٌ

فالرقصُ شيءٌ من همومٍ والاشاراتُ التي

باتتْ لغيري ها هنا

حقٌّ علينا كشفها فى عورةٍ

للبدءِ حتى المنتهى ..

فكلُ الذين استفاقوا يموتون دوما

وكل الذين استهانوا مضوا دون سلوى

فما كان يجنى صلاةَ العشاءِ الأخيرِ

وبغدادُ فى رقصِها تحتسى ألف عامٍ

نسوا أن فى غصنِها وردة من صنو العذابِ

لكِ المجدُ يا ربوةَ الرافدينِ

برغمِ الهواءِ المدمي

تَسيرُ المياهُ

برغمِ الدروبِ الحزينهْ

تَسيرُ المياهُ

برغمِ الرمالِ العذارى

نسينا لقاءَ الشروقِ

غداً حين تهوى العناقيدُ من فوقِ حلمٍ

مريح ..

أشق العناوين عن مخبأ النهرِ عمداً

لأن البلادَ

لأن الجراحَ

لأن البراحَ

لأن النزوحَ / السفوحَ / الصباحَ

يُطِلونَ من آخرِ الليلِ شكوى

وظلاً قليل الكلامِ

يناجي دَماهُ

ويخفى دموعَ الفضا فى شقوقِ الجميلاتِ .. ،،

ـ فى دجلة والفرات

يبيضُ الخليجُ ـ الرؤوسَ / الزيوتَ / العمائمَ ـ

نفطاً صبيحاً

فصَلُّوا عليكِ ..

صلاةَ الضياعِ

ويهوون ذبحَ الوليدِ

ـ بكاءُ السكون ـ

فكلُّ المهاناتِ ذلٌ صريحٌ

وأنتِ الشهيدُ

فمن صادرَ الضوءَ من نخلِ بابلِ ؟

ومن هدَّ سورَ الوصايا ؟

وأنهارُ آشورَ تلهو ولاتبُصرَ السروَ و السيسبانَ

فمن سربَ الماءَ منها ؟

عظامُ الذين استراحوا / استغاثوا

وثكلى بمنفى كتابِ الخلودِ

وحتى نرى كم مشينا حفاةً ، عراةً

علينا قياسُ الأخاديدَ في وجهنا .. ،،

كم طريقاً غزوُه الغزاةُ

وكم مُترعاً خبأ الخوفُ فينا مداهُ

ألا نرجئ الروعَ حتى تسيلَ الدماءُ

ألا يهبطُ الشيخُ من صرحِه الطائرىْ

فكم منْ شطوطِ المدينةْ

ـ فروعُ النخيل ـ

صبايا وجوع

مريدون سحرَ النشيدِ

يمدون أسماءَهم في سلال التواريخَ .. ،،

فاكتبْ لهم عِناقاً جديداً

فإن الجلوسَ استطالَ المدى من قديمٍ

ونصلٌ تولى سهامَ الملاكِ

وثقبٌ تولى ابتلاعَ الكرامةْ

تُرى لو أطعنا نهودَ السبايا

أكنا ملوكا ؟!

فطوبى ..

لمن رَمَّ البحرَ من صمتِ أرواحِنا .. ،،

بالجهادِ المقدسْ

ونحن المدينون للأرضِ في مقلتيها

وفي ليلها يعبرُ النازخون

وحتى تهل الروابي بأبنائها

من قلاعِ الأعادي

نثرنا الأغاني ضفافا بطمي الجنوبِ

فقصِ الحكايات .. ،،،

تحتفي وضوءاً

فلا تستريح الخيولُ ؟!

فيا .. يا

فيا .. لا

بلادٌ سجينهْ

مَدينَتُنا ..

تُسافرُ بالرؤى .. ،،

وتُفَتَشُ الطُرُقاتِ عَنْ وَجَعِ الشَهيدِ .. ،،

فلا تُراوِدُ نَفْسَها بصَدَى رَوائِحِهِ

ولا هَبَطَتْ بداخلِ قَبرِهِ نَغَماً

مَدينَتُنا التي وسَعَتِ الشَوارِعُ فى يَدَيْها

وضاقَتْ قُبورُ شَهيدها من براحٍ ،

أَطَلَّ عَبيرُها شَغَفاً ،

وتَرْفُضُ أنْ يُكاشِفها رمالٌ مُغَطْرَسَةٌ

تُصَوِّبُ لَيْلَها كَمَداً الى شُهدائِنا .. ،،

وتَمَرُّ مُخْجِلةً ،

وكلٌّ بنودِها وجُنودِها حزنوا

بلا زمنٍ يُباغتُها

فيا وَجَعاً يُسافرُ في سُؤالي ،

رَسَمْتُ مَجيء هذا الذي طَرَقَ المَشاتِلَ حوْلَها . . ،،

بدلاً من النصُبِ الرُخاميْ ،

فلمْ تُمطِرْ السُحُبُ

وَجَفَّتْ شَواطِئها

وسَيِّدتي تُساهِم في شرودِ رَبابةِ الظَمإِ

حَمائِمها تطيرُ على نوافذها

فَيَنْكَسِرُ الزُجاجُ . . ،،

ويُجْرَحُ الخشُبُ

وتُفَتِشُ عَنْ عَرائِسِها

حوائِطِها ، مَعالِمِها

فلا تَجِدّ ..

فَتَنْهَزِمُ الرِموشُ على سَفائِنِها

وأسْكُبُ فى مَلامِحِها

مشاعرَ صَرْخَة (يا سوِيْسُ)

أتَهَدى لِعِشْقِها مُحاكَمَةً

تُراوغُ عَوْدَةَ الجَسَدِ

أمُوْتُ إذَنْ

وبين مَحَطَّةِ السَفَرِ

أُصَرِّخُ للذين يُخَبِّئونَ نَوارسَ البحر .. ،،

لاتَتَفَيَّأوا أبداً

مَدينَتُنا ..

سلامٌ عليكِ إذا ..

تَساقَطَ منك إسمُكِ بين ضِلْعٍ وضِلْعي

حَفَرْتُ أصابعي لك هامةً من جَديدٍ

وأمضى على وترٍ ،

ومنْ قَبَسٍ ،

صَنَعْتُكِ دُرَّةً في جبينِ نَدَى .

وحينَ أصاحبُ النجمَ . . ،،

أكتبُ . . هل هياكِلُناجبالٌ مِنَ الصَمْتِ . . ،،

لاعَطشتْ رُفاتُ شَهيدُنا أبداً ؟

ولا مطر يفاتِحُنا . .

وَيَسألُنا . .

جفونُ - نهارُ - شَمْسُك أغْلَقوها

متى تَلْعَقونَ دماءَ جُرْحٍ

ومِنْ كُلِ نائمةٍ عَلى كَفنِ الشَهيدِ ؟

واقفٌ ـ بين الجزءِ المهملِ ،

من نفسي ـ تذكارٌ

أأكلُ العشبَ فى متعةٍ

لا يضاهيني متعبٌ

أسألُ الفعلَ عن حاسةٍ

علمتني عراكَ الفراشاتِ بالليلِ

أقرأ الصبحَ ، لايكفى !!

أسحلُ الغابَ ، لايبكى !!

هم يهدوننا صفحةً من كتابِ الضحى

نحن نُهديهمْ أسماءً مرتْ

من قطبٍ لم يقبرْ بعدْ

ماتَتْ ..

ملقاةً على تمثالٍ .. ،،

لايشجبُ الضوءَ .. ،،

مشغولٌ دائما باغتسالِ الصدأْ

فاقفزْ منه فى فراغٍ يكفيك

مثلَ الصمتِ فى صخرةٍ

أنت أقوى من أحراشي أنا

فاخلعْ عنى ..

عد إلى جزءٍ باقٍ منى

مثل الملحِ فى وجنةِ الموجِ ،

أو ملاكٍ على نمنماتِ الأرواحِ

قلبٌ مشقوقٌ فى ثدي الحيرة ،

كيف يسعى على دربٍ واحدٍ ؟

لم يصل موعدٌ ، إتفقنا عليه سرا . . ،،

قد يأتي موعدٌ آخرٌ ،

عندما يختفي فى المرآةِ .

كنتُ لا أهوى مشربياتهِ ،

طالما جالسٌ ، واقفٌ

متعبٌ ، دائما بين كفيهِ

نمتُ لا أدرى

كم من شمعةٍ تخشى

من زوالٍ حتميٍ

فاذهب وأبرأ الجرحَ من نهرٍ آسنٍ

ربما عدتً حلا جريئا . . ،،

أو مبصرا

أو تبقى جرحاً مقيماً على حافةِ النهرِ .

شــجن موتــور

قَصَّ حلماً عليْ ..

أن النيلَ ذو شاربٍ لم ينهكْهُ دهرٌ

أنَّ الماءَ لم يمطرُه غيمٌ وأن التاريخَ لم يعقرْ كلباً

إذا ما طل الصبحُ استيقظَ النخلُ فى حضن جدي

والأعوامُ تصحوا مبتلةً

أخبروني بتأويلِ الحلمِ ..!!

قلتُ والقولُ فى تيهِ الكلام

أن النيلَ ممتدٌ

من قلبِ البلادِ ،

من قلبِ البناتِ ،

من قلبِ الحمامِ ،

يعجنُ الشيبَ بالحسرة

يُشعلُ الصبح طهراً بتولاً على خد « ليلى »

ينزعُ العينَ من برقٍ حاسدٍ

لم يغرسْ صبارةً

لم يلملمْ حروفَ الوطنْ

من حوانيتِ العاهراتِ

لم يعرْ المجانينَ زهراً ولا غنوةً

لم يلصقْ على صدرِ الفوضى اسمهُ

حين يعطينا موعداً لم يخلفْهُ

إنه النيلُ حافي الأقدامِ

عاري الثيابِ

لكن لم يكنْ منزوعَ القلبين

لم يصنع شاياً من وأدِ النعناعِ

أو يجلس على مقهى العولمهْ

والنيران تخبو على وجنتيهِ إذا ذابتِ الشمسُ في طميهِ

* * *

جدي لم يمتْ

لم يصفدْ حلماً

جدي الأرضُ

والضواحي والأطيافُ

والبلادُ التي ماتتْ بين أحداقِنا

جدي الريحُ الحي

صائدُ الضوءَ ، يبقى شيئا من جلدِ الليل تذكاراً

جدي لم يمتْ

يمتطي صدرَ الكادحينَ الرخاميينَ ،

يمتطي أهدابَ الخنساءَ ، إيزيسَ ، كليوباترا

موسمَ البارودِ

موسمَ الأتراحِ والأفراحِ

سيدُ الفضلِ والعصرِ والنصرِ

جدي نحن أغرابٌ عن الموتِ

ضيعتنا المسافاتُ

والسؤالاتُ

والإجاباتُ

في زهو الطاووسِ والناموسِ

في سعوطِ التراتيلَ

والترانيمَ

والتوابيتَ

نجمعُ الكدَّ أشواكا

نحتسي إخناتون ، حتشبسوتَ ، حابيَ

والفرعونُ ممتد في شعابِ الأوداجِ

يَدْهِمُ السورَ

كلُّ الأسوار انثلتْ

حين تهفوا إلى أحفادٍ لم تُنجَبْ بعدْ

فاصطاد القرى من دمٍ

مغروسٍ بسيفِ الحكامِ

في طوفانِ نوحِ

في عادِ

في ثمودِ

في القرىِ الظالمهْ

في قصَاصات الأنبياء

أفسحتُ المساماتِ للغربانِ

واستعدلتُ أرباباً في حقولِ المواقيتِ

لكن جدي

الموتُ / الموتُ

كشيء من برقٍ أو براقٍ

« فى جوانتانامو »

« فى تسونامى »

خبئوا جازعاتٍ فى فجرٍ واحدٍ

وارتموا كي تناموا

من يرمي الفجر بحجر؟

أعدو هارباً من ظلٍ مخيف هنا

في نفس المكان الذي كانت أمي تبكي عليه

لم أعرف لماذا تبكي ؟

يبدو أنها تسأل الموتى ..

من .. ؟ أبي .. !!

لاتمت قد أحببتك الآن

لم يعد صدره ينفث الريح

كنت في جذوة النار ألهو

عاجزاً عن فهم الأشياء

كل ما أحصيه ..

ـ شيخٌ واقفٌ يقرأ اللعبة

ينادي أسماء الوجع

ـ واحدٌ يقذف الرمل في وجهه

ـ صبارٌ بلون الأنوارِ

ـ وانهيار الزمنِ المطرودِ من رحمةِ اللهِ

طقطقَ الجمرُ حزني

لا أظن الفراقَ الذي حجرَّ الدمعَ يأتينا

مرةً أخري

يا أبي ..

كلُ أترابكِ الآن غادروا من مسامِ الترابِ

يحصون الموتى في أسفارِ الماءِ والنسيانِ

يا أماه .. أخبريني عن ماءٍ لم يخمد ناراً ؟

قامتي تمضي عني

ليس لي حيلة ..

غيرَ أن أمضغَ الحزنَ

كلُ شيء حروفٌ مسطورةٌ

إلا شيئاً واحداً ..

من يدقُ الأجراسَ من بعده. ؟

شئتُ أن يمطرَ الغيمَ أمواجاً

من شعرٍ أتلوه ذكرياتٍ علي ... !!

يا نخيلَ الصمتِ المجهول ..!

ضلَ النهرُ مجراهُ

والآهاتُ ملتاعةٌ

أرتدي ظلَ الليلِ مجذوباً

بين أسناني ـ أدخلُ الروحَ حتى ألقي وصاياهُ ،

تمضي بين أنفاسي

مثلما يفعلُ الصوتُ في لجة الماءِ

هكذا مرَّ الخوفُ في صدري

أنهي دورهُ

تاركاً إثمهُ

في ديوان شعرٍ

شـــرنقـة

صمتهم نازحُ من بعيد ألاَّ يلاقوهُ

(إنهم فتية آمنوا)

بالوصايا بالنيل بالموجِ الغاضبِ

في ذلات النهرِ ، في حتفِ الريح ، في إعصارِ المواقيتِ

آهٍ . .

يا جرحِ الفتيانِ قصفٌ ورعبٌ وثأر الثكالى

تصطفون الربي صفاً واحداً للأيام في وحشةِ الليلِ

هكذا كنتمْ . .

أسراراً بكريةً

ـ تقصفُ النبضَ ذاتَ اليمينِ

أو ذاتَ الشمالِ

تستلذُ الفراغات في شهقةٍ ـ

دثروها أو زملوها قبلَ انحصار المدى

قبل أن تنزفَ الضوءَ في ظلٍ ،

ظلَّ فينا حبيسا .

آهٍ . .

إنهم فتيةٌ عاشوا في نبض الأمواتِ

اشتاقوا للأمسِ في قبضةِ الجرحِ . . ،،

في نورسٍ يحرسُ البحرَ من برقٍ

كادَ أن يهلكَ الملحَ في موسمِ الصيد

كم عانيتمْ البوحَ ضوضاءً

عندما غابَ النخلُ قروناً وازدادتْ

دونما مبرحٍ أو لهوٍ ، سارعتمْ باحترافِ المسافاتِ

يا لونَ الأ يادى ، في كهفها شمسٌ

تمنحُ الموتَ عشقاً إضافياً

نائباً عن حياتِ نسلُها / سرُّها

والبرايا / مراياتٌ

نحيا في شهابِ الليالي برداً / سلاماً

أو ناراً ترشقُ الغارَ تسبيحةً

جيدُها ماءُ المزُنِ ،

شقَّ الأرضَ عن شوكٍ أخرسٍ

والهتافاتُ طيرُ المطايا

آهٍ ..

أنهم فتيةٌ

كان الحلمُ فوضى ، صباحاً ، مساءً

في امتدادِ الضحى

في مساماتِ الثلجِ

في اخضرار الصبار

في جزعٍ سبىً بين الجوعِ والرجمِ

هام الطيرُ في سفرِ التشتيتِ

والأكاليلُ قوسُ الليليين

يُحدثون الألوانَ زاداً ، ترى نخلةً

خيلتْ في أحشائِهم

هزها جنسٌ من ضلوعِ الشرِ

والأنوارُ تغشى المصابيحَ

أيٌّ دربٍ قصي بلا صوتٍ مؤلمٍ ؟!!

سلْ عروقَ الديارِ ..

هل ترى دُراً في دماءِ الندى ؟

وابنُ الليلِ أضنتهُ غربةُ الشيخِ !!

هل ترى غيرَ نجمٍ يقود الأحلامَ موجاتٍ ،

فوق بحرٍ يتيمٍ ،

فاته ، أنه

نجمٌ مطفئٌ ؟!

آهٍ ..

يا جرح الفتيانِ !

على قبابك غيمة تبكي

«عبد الوهاب البياتي»

ومملكتي ..

توكأتُ العروقُ قصائداً .. ،،

تمخضتْ ندماً

لكَ الحجرُ

وأنت على مدارِ هواكَ أجنحةٌ

بلا شفق

تجوعُ بحرقةِ القمرِ

فتهجرني المواسمُ ما .. ،،

أشاءَ من المواسم .. ،،

والشكوكُ أنا

وانتظرُ المدادَ من السماءِ لأرسمَ الشجرَ

فلا هطلَ المدادُ هنا

ولا المطرُ

ولا العقلاءُ مروا هناك .. ،،

ولاتدانوا

وأنت على مدار هواكَ أجنحةٌ

بلا شفقٍ

تريدُ توحداً مع سدرة العبقِ

لك الظلماتُ مفتتحٌ

ولي العسلُ

ومملكةٌ ..

محرمةٌ عليكَ دخولَها بخطى موثقةٍ

ومختبئٍ وراءَ خرائطِ الدرجِ

فكلُ بدايةٍ لغةٌ

وكلُّ نهايةٍ شططُ

ترتلُ ما تيسر من بقيةِ ما بصدركِ تستضئُ

وخلفَ مضاجعِ الكلماتِ هسهسةُ

ستعبرُ منك بحراً

تؤوبُ بثورةِ القدرِ

عسى أن تمرَّ هناكَ مسبغةً

تمرُّ كواكبَ ومعَ الرحيلِ تعودُ قعقةً

وزلزلةً

تؤجلُ كلَ مخمصةٍ .. تؤجلها

بحجمِ هويةِ الشرفات ، تحكى

عن القمرِ الذي نقش المشيبَ عليك شِعراً

ونحنُ ..

نحيل دمَ الصهيلِ ضحى

أنا وخيالُ غيري ومتسعٌ

نغادرْ صدركَ الطلل

ونسحبُ منك شاردةً

لتنفرجَ الجبالُ حصى

ستعبرُ منك بحراً

ومن سلبَ الغنائمَ تحتَ قنطرةٍ

ليأكلني ..

فهل لك صيغةٌ للمحاقِ .. ،،

تفسِّرُ الصحراء .. ،،

كيف تبتلتْ بخيوطِها صدأ ؟!

لك الشهواتُ عاصفةٌ

وللغرباءِ نازلةٌ

ولى وهجٌ على خشبٍ

فمنْ بعقاربِ الزمنِ

يعيدكُ بيننا أفقاً ؟!!

وصلُ الأنينِ بالكبرياءِ

زهرةُ الحنَاء نامتْ في لهيبٍ

ذاتَ وجهٍ ، سمتُها يقسو فراغا

أعرفُ الأشباحَ في تكثيفِ بخرٍ

راضياً غِمدَ الخيانهْ

تفتحُ الأسرارَ إلا ما طمتُه ،

تحتَ شقٍ من شقوقِ العمرِ فيها

أو ثقوبٍ ضاعفتْ عاهاتِها من ألفِ ليلٍ

بعدها تعلو صُراخا

لايزيلُ الموتُ بالوديان موتاً

***

زهرةُ الحنّاءِ نامتْ في لهيبٍ

تتركُ الأحلامَ للموتى وأيامَ الخريف

ربما يخفىَ عليها أنها مادتْ على فرعٍ ضعيفٍ

أو غريبٍ ،

أو وحيدٍ ،

يرتمي في الشعرِ مثلَ النارِ في حضن الرياحِ

لايدانيه .. ،،

ومشتاقا لكلِ الإحتضارِ

أهونُ الأعداءِ رمحٌ ،

أفرسُ الأعداءِ قلبٌ صارمٌ يعلو نبياً

حينَ أهدى ..

واستفزَّ الشمسَ في هالاتِها في كلِ صبحٍ

* * *

زهرةُ الحناءِ نامتْ في لهيبٍ

تقتلُ الأوقات بين البوحِ والإفشاءِ سراً

من جحيمٍ ..

لَمَلَمتْ أشلاَءها تاجاً ذليلاً

كالشراعِ ،

إمتطتْ نجماً - بلا ضوءٍ - بريئا

خدرتُهُ ..

كي يلاقيها ذبيحاً

ثم تقسو منذ ماتتْ زوجةً أخرى .. ،،

وروحاً مستفزةً .

إنحناءُ الليل لم يشعلْ مداها

ظلتْ الأوجاعُ أوجاعاً شهيةً

تغرفُ الأزهارَ من قلبي وتمضي ،

في ممرٍ سارَ فيه كلُ قطفٍ

تُغرقُ الأشهادَ في وحلٍ دفينٍ ـ نامَ فيها ـ

جرجرتني في مذاقٍ

آتيا ـ من همزةِ الماضي ـ سريعا

غابَ عنها كل أوراقِ الجفافِ

أوقعتني بالحدودِ

لن أطيرَ الآنَ وحدي ،

حاجزُ التحليقِ سدٌ ...

فاتحٌ أبوابَهُ للحائرينَ

* * *

زهرةُ الحناء نامتْ في لهيبٍ

تشربُ الأيامَ من قيعانِ أرضٍ زيفوها

بعثروها تحتها مسخاً ولم يفتوا بقتلى

لم أزلْ أرنو إليها ،

في (بواكير الرؤى عشقاً) من النشوى. . .،،

وصوتاً للوصال ،

بين جفنيها خطى للعابرينَ

بين ضلعيها ضحى للعائدينَ

دو نما يستيقظُ الموتىُ شقاءً

إنها في لونِ ليلٍ

انجلى من فسحةٍ من مشجبٍ . . ،،

كلٌ سيأتي في أغاني الأولياء .

رنـــين الغيـــاب

تَقَوْقَعْتُ بينَ الفصولِ

وصوتٌ ينادى هويَ النهرِ والظامئينَ

هنا .. ينعسُ النخلُ في الذكرياتِ

هناكَ الفضولُ ..

وبينَ الذين استباحوا دماءَ الحياةِ

وشطاً بلونِ الحقولِ

تداعوا ظلاماً ،

يحيطُ الأكاذيبَ .. وجه ..

يوارى رذاذاً بغير انسجامٍ

ونصلاً بغير انقطاعٍ

فهل تشهدُ الأرضُ وردَ السقوطِ

ويبقى اشتعالُ التحدي ؟

وحتى نشقَّ التجاعيدَ حرقاً

على غفلةٍ من وميضِ المنافي

أزحنا الفضاء ..

ورعباً ..

وجرحاً كفيهِ السماء ..

لنبدو بلاداً

تدلتْ عناقيدُها راسخاتٍ ـ

وريحاً عديمُ الصياحِ

أبَحْنا المدى مستهلاً قديماً

حروباً لكلِ التلالِ

وكلِ التخومِ

وكلِ المغيرينِ في فتح فجرٍ

نوارى نجوماً تشظتْ

بخوفِ الطواحينِ و الإنطواءِ

بخوفِ امتهانِ المآذنْ

ونومِ السلامِ

ودَاعاً ..

ونهرانُ فوقَ الجبالِ

-ركامٌ من الطمي والسنبلاتِ العُجافِ-

يئنانِ لو حلَّ وقتُ الحصادِ

ووقتُ الرحيلِ

ووقتُ انغماسُ الماء انتظاراً

لحلمٍ جَبانٍ !!

فيا أيها الثائرونَ استبينوا !!

لقد آنَ فَرْطُ الرماد

وفتحُ الرمالِ

وقرعُ المجوسِ

فطينُ القلاعِ انتباهٌ هزيلٌ

ولحنُ الغروبِ انكسارٌ وشيكٌ

فلا طاعةً لانفرادِ الشُعاعِ

ولاطلعَة الصمتِ جرحٌ أخيرٌ

وخرساءُ تلكَ العباءةْ ..

تَحُضُّ المسافاتِ أن تأكُلَ الشمسَ قهراً

لترتَدَّ أبصارُنا من حروفٍ وئيدةْ

ونبقى مكاناً لصوتِ الربي ، معْزَفُ الإغترابِ

الفهــرس

الموضـــوع	الصفحة

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة